

من أين تأتي الأفكار الجيدة؟

عرض: كيرا نيومان

مجلة فريمان

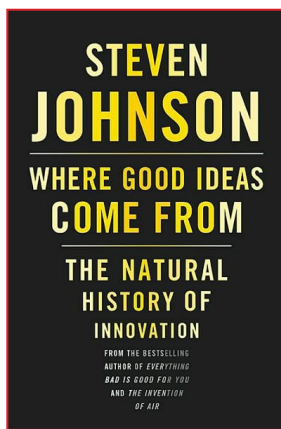
22 أكتوبر 2010

Where Good Ideas Come From?

Reviewed By Kira Newman

American Enterprise Institute (AEI)

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)



غلاف الكتاب

الكتاب: من أين تأتي الأفكار الجيدة؟.. التاريخ الطبيعي للابتكار.

الكاتب: ستيفين جونسون.

عدد الصفحات: 336.

الناشر: (Penguin Group).

تاريخ النشر: 2010.

نبذة عن الكاتب:

- من الكتاب الأمريكيين المرموقين في مجال (العلم الشعبي).
- من الأسماء المشهورة في عالم النشر الإلكتروني بسبب إنشائه لعدد من المواقع الإلكترونية التي لاقت استحسان ومتابعة رواد الانترنت.
- تظهر مقالاته بشكل منتظم في صحف أمريكية مرموقة من أمثال نيويورك تايمز، وول ستريت جورنال، فاينانشال تايمز.
- بكالوريوس في الأدب الانكليزي. جامعة كولومبيا.
- بكالوريوس في علم المعاني (السيميوطيقا). جامعة براون.

من أين تأتي الأفكار الجيدة؟

يهدف المؤلف في هذا الكتاب إلى هز اليقينيات، حيث يورد الكثير من الاستنتاجات التي تتناقض مع البديهية، ومنها: الأشخاص ذوو العقول الأقل تنظيماً يتصفون بذكاء أكبر، البيئة الخالية من الأخطاء عقيمة لا تنتج، الاجتماعات مفيدة، وفيسبوك وتويتر ليسا مضيعة للوقت، والكتاب مليء بالأمثلة التي تتناول السؤال الذي يحير عقول الكثيرين، وهو: كيف لنا أن نعزز الابتكار؟

يحدد الكاتب، وهو من الكتاب الرياديين، وتظهر مقالاته في مجلة (Wired)، سبعة أنماط تتكرر في عملية توليد الأفكار الجديدة: فيبدأ بفكرة «إمكانية الإلحاق»: حيث يستخدم المبدعون ما يجدونه حولهم من «قطع غيار»، من المواد الملموسة إلى الآليات العلمية، وذلك في سبيل الخروج بفكرة ما، ويشرح الكاتب ذلك بأن الفكرة الابتكارية ليست في الغالب ومضة ذكاء وإنما حدس بطيء يتراكم بمرور الوقت على نحو شبيه بتجميع قطع الغيار ووضعها في مكانها الملائم.

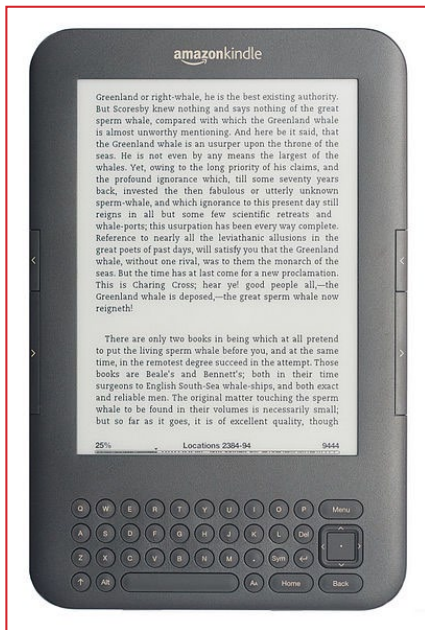
ويستل الكاتب مفهوم (اكتساب الصفات الجديدة Exaptation) من البيولوجيا التطورية ليصف كيف أن الأفكار الجيدة تتضمن في الغالب حشد الأدوات أو المفاهيم من نطاقات أخرى، كما فعل يوهانيس غوتنبيرغ عندما استخدم معصرة للعنب لأغراض الطباعة. وهناك فصول أخرى من الكتاب تتناول دور موهبة الاستكشاف والخطأ في التشجيع على الأفكار الجديدة وفوائد البناء على ما يوجد فعلاً من أسس مفتوحة كشبكة الانترنت.

إن هذا الكتاب يهدف إلى دحض خرافتين حول الابتكار، هما: الذكاء المنعزل، والمبالغة في تصوير لحظة «وجدتها». ولهذه الغاية يناقش الكاتب قضية (الفكرة كورشة عمل) ويبدأ بتوضيح نقطة مفهومية حول طبيعة الأفكار، وهنا تكمن قوة الكتاب وضعفه في آن واحد، فالكاتب يرى أن الأفكار تتكون تماماً من صلات شبكية بين أعصاب الدماغ، وأن الكربون، وهو الموصل الخبير، يعتبر أساس الحياة، والحياة نفسها هي إحدى أذكي الأفكار

من أين تأتي الأفكار الجيدة؟

التي أنتجتها الطبيعة. وبتعبير أبسط: للأفكار مكونات كقطع لغز (الصور المقطعة) أو «صلات تعاون» تتحد بالشكل المناسب تماما.

لنأخذ جهاز كيندل (Kindle)¹ نموذجا: ففكرة الجهاز تتكون من العديد من الأجزاء: مظهر وملمس الكتاب العادي، والتقنيات اللازمة بما فيها الذاكرة الوميضية (Flash Memory) وتقنية الواي فاي (WiFi). ويضاف إلى ذلك بعض الحلول لمشكلات سابقة: فإذا ما أردنا القراءة خارج المنزل لا يمكننا اصطحاب كتاب ضخم الحجم، والكمبيوتر المحمول ثقيل وتصعب القراءة من شاشته وبالأخص في ضوء الشمس. هنا يمكن لأحدهم أن يجمع هذه الأجزاء وغيرها الكثير. ويدرك الصلات في ما بينها. وعندها تولد فكرة (كيندل).



جهاز كيندل

يمكننا أن نستعين بتوماس جيفرسون، وهو الذي عرف عنه «التحدث بالفلسفة على شكل أفكار». في وصفه ما للأفكار من طبيعة غير ملموسة وبعد عن الندرة (فهي «غير تنافسية» بلغة الاقتصاديين: إذ ليس لها مكون مادي، ويمكن تشاركتها بسهولة دون استنزافها). ويدعي الكاتب أن «الأفكار الجيدة... ترغب بالاتصال والالتحام وإعادة التركيب. إنها ترغب بإعادة اختراع نفسها عبر تخطي حدود المفاهيم. إنها ترغب بأن تكمل بعضها بعضا». لكنك لا تجد في الكتاب ما يكفي من هذه التحليلات، إذ لا يركز الكاتب بما يكفي على جوهر الأفكار، بل على الكثير الكثير من الأمثلة القصصية عن الأفكار الجيدة.

1) جهاز إلكتروني من إنتاج (Amazon) لقراءة الكتب الإلكترونية. (المترجم)

من أين تأتي الأفكار الجيدة؟

وفي مقابلة مع مجلة (Wired) نشرت مؤخرا، اعترف الكاتب بأن «بالرغم من أن عبارة (الأفكار ورشات عمل) موجودة في مكان ما من كتابي، فإنني لم أصغها على هذا الشكل في ذهني أبداً. ولكن... عندما يسألني الناس عن الكتاب فإنني دأبت على استخدام هذا المفهوم لشرحها. إنها طريقة محببة فعلاً للتعبير عن الفرضية الأساسية التي غابت عن ذهني تماماً».

ويحاول الكاتب التعويض عن محدودية ما يدعوه «المقاربة القصصية» في الفصل الأخير من الكتاب. حيث أورد في هذا الفصل استطلاعاً عن 200 ابتكار حيوي خلال 600 عام مضى، وصنفها باعتبارها تسويقية أو غير تسويقية، وفردية أو ناتجة عن ورشة عمل. ويخلص الكاتب إلى أنه في الفترة الحالية نتج الكثير من المخترعات من رحم ورشات العمل، حيث اخترعها مجموعة من الناس، لا الأفراد أو الفرق الصغيرة.

ومع أن هذه النتيجة تدعم الفكرة العامة للكاتب، وهي أن تدعيم التواصل بين الناس يؤدي إلى تعزيز الابتكار، فمن التعميم المفرط أن يفيد ذلك في دعم الأنماط المحددة السبعة التي اقترحها، وكان من الأجدى له لو أرسى فرضيته الصريحة على أساس طبيعة الأفكار. فعلى سبيل المثال: إن الحقيقة المتمثلة في أن معظم الابتكارات تأتي من جماعات من الناس لا تدعم الافتراض بأن ذلك ناتج عن «حدس بطيء». ولكننا إذا قبلنا أولاً بأن الأفكار هي ورشات عمل قبل كل شيء، فإن أطروحة (الحدس البطيء) تصبح مجرد نتيجة منطقية لأن تجميع الشبكات المعقدة ذات الأجزاء العديدة المتداخلة مهمة تحتاج إلى وقت.

وبذلك يمضي الكاتب بعيداً في فك ألغاز موضوع معقد: الخطوات التي تؤدي إلى أفكار ابتكارية. ولقد جعلني الكتاب أرى على الدوام شبكة من العقد كلما تداولت ذهني مسألة الأفكار. وربما يشكل هذا الكتاب أحد هذه العقد ضمن النقاش الأعم حول كيفية تعزيز الابتكار، وهو أمر يؤدي إلى فكرة ممتازة إذا امتزج وأعيد مزجه مع الجهود الأخرى المبذولة في هذا المجال.